

تفسير البغوي

152 - قوله تعالى : { ولقد صدّقْتُم إِنَّمَا وَعْدَنِي } قال محمد بن كعب القرظي : لما رجع رسول الله وأصحابه إلى المدينة من أحد وقد أصابهم ما أصابهم قال ناس من أصحابه : من أين أصابنا هذا ؟ وقد وعدنا إِنَّمَا النَّصْرَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى :

{ ولقد صدّقْتُم إِنَّمَا وَعْدَنِي } بالنصر والطفر وذلك أن النصر والطفر كان لل المسلمين في البداية { إِذْ تَحسُونَهُم بِإِذْنِنِي } وذلك أن رسول الله جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وجعل عينيه وهو جبل عن يساره وأقام عليه الرماه وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال لهم : احموا طهورنا فإن رأيتمونا قد غنمتم فلا تشركوا وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرنَا وأقبل المشركون فأخذوا في القتال فجعل الرماة يرشقون خيل المشركين بالنبل والمسلمون يضربونهم بالسيوف حتى ولو هاربين بذلك قوله تعالى { إِذْ تَحسُونَهُم بِإِذْنِنِي } أي تقتلونهم قتلا ذريعا بقضاء الله .

قال أبو عبيدة : الحس : هو الاستئصال بالقتل .

{ حتى إذا فشلتُم } أي : إن جبنتُم وقيل : معناه فلما فشلتُم { وتنازعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ وَالْوَاوْ زائدة في { وتنازعْتُمْ } يعني : حتى إذا فشلتُم تنازعْتُم وقيل : فيه تقديم وتأخير تقديره : حتى إذا تنازعْتُم في الأمر وعصيتم فشلتُم ومعنى التنافر الأختلاف .

وكان اختلافهم أن الرماة اختلفوا حين انهزم المشركون فقال بعضهم : انهزم القوم بما مقامنا ؟ وأقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم : لا تجاوزوا أمر رسول الله وثبت عبد الله بن جبير في نفر يسير دون العشرة .

فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ذلك حملوا على الرماة فقتلوا عبد الله بن جبير وأصحابه وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح فصارت دبورا بعد ما كانت صبا وانتقضت صفوف المسلمين واحتلteroوا يجعلوا يقتلون على غير شعار يضرب بعضهم ببعض ما يشعرون من الدهش ونادي إبليس أن مهدا قد قتل وكان ذلك سبب الهزيمة للمسلمين .

قوله تعالى : { وَعَصَيْتُمْ } يعني : الرسول صلى الله عليه وسلم وخالفتم أمره { من بعد ما أراكم } الله { ما تحبون } يا عشر المسلمين من الطفر والغنيمة { منكم من يريد الدنيا } يعني : الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب { ومنكم من يريد الآخرة } يعني : الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال عبد الله بن مسعود : ما شعرت أن أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان يوم أحد ونزلت هذه الآية { ثم صرفكم عنهم } أي : ردكم عنهم بالهزيمة { ليبتليكم } ليختبركم وقيل : لينزل البلاء عليكم { ولقد عفا عنكم } فلم يستأصلكم بعد

المعصية والمخالفة { وآدّ ذو فضل على المؤمنين }